محاضرة بعنوان: فلسفة التربية الإسلامية

من إعداد: د. شافية بن حفيظ

تمهيد:

تمتد فترة ازدهار التربية الإسلامية ستة قرون، من القرن السابع ميلادي عندما انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية وانتقل إلى امبراطورية الفرس والروم وحتى القرن الثالث عشر ميلادي عندما سقطت بغداد على يد "هولاكو" المغولي عام (1258 ميلادي)، ففقد العالم الإسلامي الكثير من مظاهر وحدته العقلية والروحية وسيطرت عليه اخلاط التتار والمغول وأخذ يندحر في طريق الاضمحلال العلمي والاقتصادي، متأثرا في الوقت نفسه بتداعي المسلمين في الأندلس، وتنقسم هذه الفترة إلى عدة اطوار لكل واحد منها خصائصه التربوية:

- **الطور الأول:** انتشار الإسلام في عهد الرسول (ص).
- **الطور الثاني:** وهو طور الفتوحات الإسلامية التي بدأت في عهد "أبي بكر الصديق" أول الخلفاء الراشدين وقاربت نهايتها في عهد الأمويين (661- 750).
- **الطور الثالث:** وهو طور تكوين الحضارة العربية الإسلامية والامتزاج بين الشعوب والحضارات ويبدأ بظهور العباسيين و يمتد حتى ظهور الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر ميلادي، وتدخل في هذا الطور حضارة الاندلس منذ القرن الثامن الميلادي.
- **الطور الرابع:** والذي يبدأ مع ظهور الأتراك السلاجقة وينتهي بظهور المغول في القرن الثالث عشر وسقوط بغداد على أيديهم.

1- **مفهوم التربية الإسلامية:** يقول "رشيد ابراهيم" بأنها تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على مبادئ الإسلام وتعاليمه من أجل تحقيق أهداف الإسلام في جميع مجالات الحياة.

وتعرف كذلك بأنها اعداد الفرد المسلم اعداد كاملا في جميع النواحي وفي جميع مراحل النمو للحياة الدنيا والآخرة، وفي ضوء المبادئ والقيم وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام.

2- **أسس التربية الإسلامية:** لقد استطاع المفكرون استخلاص بعض الخصائص والأسس التي تميزت بها التربية الإسلامية ويمكن تحديد هذه الأسس فيما يلي:

- **التربية الإسلامية هي تربية تكاملية:** أي انها تهتم بالتكامل بين جميع جوانب شخصية الفرد.
- **التربية الإسلامية هي تربية سلوكية عملية:** أي ارتباط القول والعمل والعلم فلا تكفي الأقوال ولا تكفي النيات لذلك قال رسول الله (ص) "الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ".
- **التربية الإسلامية فردية واجتماعيه:** أي تقوم بتربية الفرد والاهتمام لجعله مواطن صالح لكي يخدم نفسه ومجتمعه.
- التربية الإسلامية موجهة نحو الخير وتعمل على نمو ضمير الإنسان.
- التربية الإسلامية تسعى الى تربية فطرة الإنسان وتهذيب غرائزه.
- التربية الإسلامية تربية مستمرة ومتدرجة من الميلاد إلى الشيخوخة وتراعي حاجات ومطالب كل مرحلة عمرية وكل زمان ومكان.
- **التربية الإسلامية تربية محافظة:** أي أنها تحافظ على قيم ومطالب المجتمع ومتطلباته.
- **التربية الإسلامية تربية انسانية:** حيث نجدها تراعي إنسانية الإنسان ومطالبه النفسية والاجتماعية كحاجته إلى الأمن وحاجته إلى الرأفة والعطف وحاجته للعمل والنشاط والعدالة الاجتماعية.

3- أهداف التربية الإسلامية:

- **الإسلام دين ودولة:** فهو نظام اجتماعي وديني وبهذا فهي ترمي إلى اعداد الفرد المسلم اعداد يجعل منه شخصا كفؤ لدنياه ومجتمعه ووطنه وفي نفس الوقت يؤدي العبادات التي أمرنا الله بها، وهناك آيات كثيرة وأحاديث توضح هذا الهدف منها قوله تعالى: " وابتغي فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك الدنيا".
- **الغاية الدينية والخلقية:** مثل التفقه في الدين وتعلم أحكامه والالتزام بأوامره ونواهيه والتحلي بالأخلاق الفاضلة وتجنب الرذائل التى نهى عنها الدين والأخلاق، ويعتبر هذا الهدف، الهدف الأسمى للتربية الإسلامية.
- **الهدف الاجتماعي:** وقد ظهر هذا الهدف في التربية الإسلامية بعد انتشار العلم في المجتمع الإسلامي واتساع رقعة الدولة الإسلامية، بحيث اصبح المثقفون يلعبون دورا هاما في الحياة

الاجتماعية والسياسية وصار الناس يقبلون على العلم والتعليم طلبا للمكانة الاجتماعية، وقد ذكر في وصية "عبد الملك ابن مروان" لابنه يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطا سدتم وكنتم سوقه عشتم.

- **طلب العلم حبا في العلم:** لقد كان المسلمون يقصدون العلم وطلبه لذاته والحصول على المعارف لمجرد المعرفة وقد ساهموا في تقدم المعارف الإنسانية وبرز منهم علماء أفذاذ وهبوا حياتهم للعلم والبحث العلمي في شتى المجالات، واعتبروا البحث العلمي هدفا في حد ذاته.
- **الهدف المادي:** إن التربية الإسلامية لم تهمل إعداد المسلم إعداد جيدا للحياة الدنيا كي يستطيع كسب عيشه عن طريق الحصول على المهارات الصناعية والفنية المطلوبة.

4- **اساليب التربية الإسلامية:** لقد تعددت أساليب التربية الإسلامية حسب مواقف الحياة وهي:

- **أسلوب القدوة الصالحة:** وانتقاه المسلمون من الرسول (ص) وتعاملوا به وعملوا على ترسيخه في نفوس التابعين وكان هذا امتثالا لقوله تعالى " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر".
- **أسلوب الترغيب والترهيب:** ويسمى في علم النفس أسلوب الثواب والعقاب وهذا من الأساليب العادلة لإثابة المحسن وعقاب المخطئ وتوجد إشارات واضحة على هذا الأسلوب في القرآن لقوله تعالى "من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره".
- **أسلوب الإقناع والاقتناع:** قال الله تعالى " لا اكراه في الدين " فالتربية الإسلامية لا تكلف الا بالإقناع.
- **أسلوب الموعظة والنصح:** وله أثر حسنا في النفوس والقرآن كله موعظة وهدى ورحمة للعالمين وقال رسول الله (ص) " الدين النصيحة ". وللنصح أداب يجب مراعاتها.
- **أسلوب الممارسة العملية:** كتعلم الصلاة والزكاة وجميع العبادات.

5- **مكانة المعلم والمتعلم في التربية الإسلامية:** إن التربية الإسلامية قامت على تقديس العلم ووضعته في المكانة اللائقة به، كما احترمت العلماء ووضعتهم في مقام عالي في المجتمع الإسلامي في تخصصاتهم المختلفة، واعتبر الإسلام طلب العلم والحث عليه نوع من العبادة والجهاد وطريق إلى الجنة، ويظهر اهتمام الإسلام بالعلم من خلال:

– منح الإسلام العلم قدسية ومكانة عظيمة وجعله فريضة.

– الحث على تبليغ العلم وعدم كتمانه.

– القرآن الكريم يخاطب الناس بأسلوب التفكير والعقل والعلم.

– يبين القرآن الكريم والسنة النبوية فضل العلم وأهميته وضرورته للحياة ونجد في الفكر الإسلامي أعلاما استطاعت أن تحقق مكانة بارزة في الفكر التربوي مثل: "ابن خلدون" ، "الغزالي"، "الفرابي"، "ابن سحنون"، "القابسي"، "ابن سيناء"، "ابن الحيثم".

6- **الفلسفة الإسلامية وتطبيقاتها التربوية:**

- **المناهج:** ليس هناك اتفاق عام عند العلماء المسلمين على المناهج الدراسية ومقرراتها، ولا على المراحل الدراسية ووحدات التعليم فيها إلا أن هذا لا يحول دون استخلاص المبادئ العامة من المناهج المختلفة وعلى ضوئها قسم المنهج إلى قسمين الأولي والعالي.

المنهج الأولي: ومواده الدراسية هي القرآن والدين والكتابة والشعر والنحو والقصص وقد أشار "ابن خلدون" في مقدمته أن القرآن كان الأساس في جميع المدارس الأولية والكتاتيب.

المنهج العالي: تعددت المواد في هذه المرحلة فالطالب لم يكن مقيدا بدراسة مواد معينة ولم يفرض عليه منهاج خاص إلا أن المواد الدينية واللغوية كانت مشتركة بين جميع التخصصات ويمكن تقسيم المنهج العالي إلى مرحلتين:

- **المنهج الديني الأدبي:** ويلخصها الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم في علم الفقه، علم النحو علم الكلام، علم الأخبار والكتابة والعروض. وفي حالات كثيرة يدرس الحساب نظرا لفائدته في الميراث ومعرفة التقويم.
- **المناهج العلمية الأدبية:** ويساير ظهورها المرحلة الثالثة من نمو الفكر الإسلامي وتطوير العلوم والصناعات عند العرب وتتلخص كما أوردها الخوارزمي فيما يلي:
- **العلوم الطبيعية:** وتشمل الطب بفروعه والتشريح وعلم التشخيص وعلم العقاقير والعلاج والتغذية وعلم المعادن والنباتات والحيوان والكيمياء.
- **العلوم الرياضية:** وتشمل الحساب والجبر والهندسة وعلم الفلك والميكانيك وعلم الآلات الرافعة والمنطق.

7- **الإسلام وطرائق التدريس:** يحرص الإمام "الغزالي" على التفريق بين أساليب تعليم الكبار والصغار، ويرجع ذلك إلى اختلاف درجة الإدراك بين الطفل البالغ فيقول أن أول واجبات المربي أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباكه العقلي وتنفره من العلم.

وقد اتبع المسلمون اجمالا طريقة الحفظ والتلقي لاسيما في تعليم القرآن الكريم، أما في المراحل العليا فقد تميزت بكثرة النقاش والأسئلة بين الطلاب والأساتذة بعد أن يفرغ الأستاذ من محاضرته.

8- **الإسلام والمدرس:** نظر الإسلام إلى المدرس نظرة تقديس وإجلال وتعظيم وتظهر جليا في أحاديث الرسول (ص) حيث قال " إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء"، ويقول الغزالي " فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماوات فإنه كالشمس تضيء لغيرها ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه، وقد اشترط الإسلام في المعلم أن يكون متدينا صادقا في عمله وحليما رحيما يتحلى بالوقار والرفق والتواضع وعليه أن يقصد بتعليمه مرضاة الله تعالى قبل أي شيء آخر.